

فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ [الشورى: 10] اعتراض؛ إذ لما ذكر أنه على كل شيء قدير؛ بين أن من آثار قدرته خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ⁽¹⁾.

بلاغة انتقاء مفردة ﴿فَاطِرٌ﴾ مَادَّةً وَصِغَةً:

آثر النظم الكريم التعبيرَ بفطرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ لدلالة الفطر على ابتداء الخلق من العدم، فالفطر هو الابتداء والاختراع⁽²⁾، فعبر بذلك؛ للدلالة على أنه هو الذي بدأ خلقهما، وأخرجهما من العدم⁽³⁾، وجيء به على صيغة اسم الفاعل؛ للدلالة على ثبوت هذا الوصف له تعالى، فهو متَّصف بهذا الوصف الدال على تفرُّده بالالوهية.

موقع جملة ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ التَّحْوِي:

أورد النظم الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ حالاً من الضمير في اسم الفاعل ﴿فَاطِرٌ﴾؛ وذلك لأنَّ مضمون الجملة - وهو خَلَقَ المخلوقات بنظام الزوجية - يبيِّن حالاً من أحوال فطرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فإنَّ خَلَقَ تلك المخلوقات الحية من الإنسان والأنعام من أعجب أحوال خلق الأرض⁽⁴⁾.

بلاغة استعمال مفردة ﴿جَعَلَ﴾ مَادَّةً وَصِغَةً:

آثر النظم الكريم التعبيرَ بفعل الجعل في قوله جلَّ شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾؛ وذلك لدلالة الجعل على "إيجاد شيء من شيء، وتكوينه منه، نحو: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: 72]، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَثًا﴾

الله تعالى
موجد الأشياء
من العدم

نظام الزوجية
حالٌ عجيب
من أحوال خلق
الأرض

تكوين نظام
الزوجية من
النفس الواحدة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 43 / 25، والخفاجي، غاية القاض: 411 / 7.

(2) الجوهري، الصحاح: (فطر).

(3) البقاعي، نظم الدرر: 256 / 17.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 43 / 25، 44.

النحل: 81⁽¹⁾، فعبّر به للدلالة على أن الأزواج قد أوجدت من الأنفس، وعبّر بالفعل الماضي؛ للدلالة على أن تلك النعمة قد تحققت، فهي موجبة للشكر والامتنان والاعتراف بالتوحيد⁽²⁾.

معنى اللام في ﴿لَكُمْ﴾ ودلالة التعبير بها:

غاية إيجاد
الأزواج إدامة
الحياة امتناناً
على الناس

عبّر النظم الجليل في قوله جل شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾ بحرف الجرّ (اللام) الدالّ على التعليل⁽³⁾؛ ليؤدّي معنى: أن غاية الخلق بتلك الصفة كان من أجل المخاطبين؛ إذ بالزوجيّة تصلح الحياة، وتدوم.

معنى ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾:

عبّر النظم الجليل بحرف الجرّ ﴿مِنْ﴾ في قوله جل شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، وهي هنا ابتدائية، أي: إن الزوجيّة صدرت من الأنفس.

فائدة ذكر قيد ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾:

التزويج من
الجنس الواحد
نظام متقن من
أنظمة الخلق
العجيب

قيّد النظم الجليل الجعل بشبه الجملة في قوله جل شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾؛ للدلالة على أن إيجاد الأزواج كان من جنس المخاطبين⁽⁴⁾، وهذا من تمام النعمة وكمالها؛ إذ لو جعل أحد الزوجين من نوع آخر؛ لفات نعيم الأنس⁽⁵⁾، ويوحي لفظ ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ أيضاً بوحدة الزوجين في الغاية والهدف من وجودهما ابتداءً، ثم تزويجهما؛ ليؤدّيا يداً بيد مهمة عمران الأرض، وإصلاحها.

التجانس باعث
المحبة والالتئام
وسبيل الدوام

وفي تحديد الجنس بالنساء الأزواج استعارة، والمعنى: خلق لكم من جنسكم لا من جنس غيركم، فإنّ التجانس شرط التّضام، وباعث المحبة والالتئام، ويجوز أن يكون المعنى: خلق لكم من أنفسكم

(1) الرّأغب، المفردات: (جعل).

(2) البقاعي، نظم الدرر: 256 / 17.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 44 / 25.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 24 / 8.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 44 / 25.

أَزْوَاجًا، فَإِنَّ حَوَاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ، وَسَائِرُ النِّسَاءِ خُلِقْنَ مِنْ نُطْفِ الرِّجَالِ⁽¹⁾.

غرض تنكير ﴿أَزْوَاجًا﴾:

آثَرَ النُّظْمِ الكريمِ التَّعْبِيرَ عن الأزواج بصيغة التَّنْكِيرِ في قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾؛ للدَّلالة على التَّكْثِيرِ، أي: "جعل لمجموعكم أزواجًا، فلذُكُورِ أزواجٍ من الإناث، وللنِّسَاءِ أزواجٌ من الرِّجَالِ، وذلك لأجل الجميع؛ لأنَّه بذلك الجَعْلِ حصلت لذَّةُ التَّائِسِ ونعمةُ النِّسْلِ"⁽²⁾.

كثرة الأفراد
والخلوقات
تقضي بكثرة
الأزواج

نكتة ترتيب القيود: ﴿لَكُمْ﴾ ثُمَّ ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ثُمَّ ﴿أَزْوَاجًا﴾:

رَتَّبَ النُّظْمُ الجليلِ قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ترتيبًا بارعًا؛ فَقَدَّمَ شِبْهَ الْجُمْلَةِ ﴿لَكُمْ﴾؛ للدَّلالة على أَنَّ المذكور في مضمون الخطاب إِنَّمَا هو لأجل المخاطبين، فيَقْدَّمَ الامْتِنَانُ على ذِكْرِ الْمُتَمَنٍّ به؛ تنبيهًا على فخامة النُّعْمَةِ ووجوبِ شُكْرِهَا، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَهُ القيد: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾؛ لأنَّ كَوْنَ الزَّوْجِ مِنَ الْجِنْسِ ذَاتِهِ وَالنَّوْعِ نَفْسِهِ أَهَمُّ مِنَ التَّزْوِيجِ، ثُمَّ أَعْقَبَ ذَلِكَ بقوله: ﴿أَزْوَاجًا﴾، وهو المقصود بالخطاب والامتنان، فَأَخَّرَهُ تشويقًا لذكره.

المقصود بالإنعام
بالتزويج
المخاطبون

بلغة واو العطف، ودورها الوظيفي في الإيجاز:

عطف النُّظْمِ الجليلِ جَعَلَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا على جَعَلَ النَّاسِ فِي قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾، والتَّقْدِيرُ: وخلق أيضًا للأنعام من أنفسها أزواجًا⁽³⁾، وهذا العطف أفاد الإيجازَ، بالاعتماد على المذكور في السِّياق سابقًا.

خلق أزواج
الأنعام كخلق
الأزواج في الناس

(1) القانوني وابن التَّمْجِيد، حاشيتان على البيضاوي: 207 / 17.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 44 / 25.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 582 / 27.

معنى تعريف ﴿الْأَنْعَمَ﴾:

عرَّفَ النَّظْمُ الجليل الأنعامَ بالألف واللام في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَمِ أَزْوَاجًا﴾، وهي هنا لتعريف الجنس، فيشمل الحكمُ جميعَ الأنعام.

توجيه تخصيص ﴿الْأَنْعَمَ﴾ بالذكر:

خَصَّ النَّظْمُ الجليل ذَكَرَ الأنعامِ من الدَّوَابِّ في قوله جلَّ شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَمِ أَزْوَاجًا﴾ وذلك؛ لأنَّ الأنعام من تمام معيشة الإنسان⁽¹⁾، ففائدة "ذَكَرَ أزواج الأنعام دون أزواج الوحش: أن في أنواع الأنعام فائدة لحياة الإنسان؛ لأنها تعيش معه، ولا تنفر منه، وينتفع بألبانها وأصوافها ولحومها ونسلها وعملها من حمل وحرث، فبجعلها أزواجًا حصل معظمُ نفعها للإنسان"⁽²⁾.

سرُّ تكرار لفظ الأزواج:

المُرَاد بـ ﴿أَزْوَاجًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَمِ أَزْوَاجًا﴾، أي: أصنافًا، جمع صنف، بمعنى: النوع، نوع الإبل، ونوع البقر، ونوع الضأن، ونوع المعز؛ لأنَّ الأزواج قد يُراد بها الأصناف⁽³⁾.

فَنَ الْجَنَاسِ فِي لَفْظِ ﴿أَزْوَاجًا﴾:

كَرَّرَ النَّظْمُ الجليل لفظَ الأزواج في قوله جلَّ شأنه: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَمِ أَزْوَاجًا﴾، وهو جناس تامٌّ، فائدته: التَّنْبِيهُ على عِظَمِ تلك النِّعْمَةِ، وتنبية الأفهام على جليل الامتنان، فضلًا عمَّا فيه لَذَّةٌ في الأسماع بتكرير الألفاظ ذاتها.

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ ﴿وَمِنَ الْأَنْعَمِ﴾ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ:

قَدَّمَ النَّظْمُ الجليل شبهَ الجملة من الجارِّ والمجرور على المفعول

سياق الامتنان
أدعى لذكر
الأنعام دون
الوحوش

المُرَاد بالأزواج
الأصناف
والأنواع

التَّنْبِيهُ على
عِظَمِ تلك
النِّعْمَةِ، وتنبية
الأفهام على
جليل الامتنان

(1) التَّخْجَوَانِي، الفَوَاتِحُ الإلهِيَّة: 286 / 2.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 44 / 25.

(3) القَوْنَوِيُّ وَابْنُ التَّمْجِيدِ، حَاشِيَتَانِ عَلَى الْبَيْضَاوِيِّ: 207 / 17.

به في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَرْوَاجًا﴾؛ لأنَّ المقصود من الامتنان هو الأنعام التي وقع التزويج فيها، فتقديمها لأنها الأهم في السياق.

بلادة اختيار الذرء مادة وصيغة:

آثر النظم الكريم التعبير بالذرء في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ﴾؛ للدلالة على البت والانتشار والتكثير، فالذرء يدل على تكثير الخلق وبثهم في الأرض، ويشير إلى توالي الأجيال على مر الزمان، والمعنى: يكون لكم في الأزواج من البشر نطف وجمال وولادة، وفي الأنعام غذاء وشراب وأكل، وغير ذلك مما لكم فيه من المنافع، ولا تزالون في هذا الوجه من الخلق والتزواج نسلاً بعد نسل وجيلاً بعد جيل⁽¹⁾، ومن هنا فصوغه على هيئة المضارع لإفادة التجدد والاستمرار، وهذا أنسب في مقام الامتنان⁽²⁾.

بلادة التغليب في ضمير المخاطب:

غلب النظم الجليل الخطاب في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ﴾، وذلك بتغليبه مخاطبة العقلاء على غيرهم، والمراد به الناس والأنعام جميعاً، وتغليبه ضمير الخطاب على ضمير الغائب⁽³⁾، وإنما غلب مخاطبة الناس على غيرهم لاعتبارين، الأول: اعتبار مكانة العقل، والثاني: لكون الخطاب في مبتدأ الآية جيء به للناس⁽⁴⁾، ففيه تغليبان، الأول: تغليب المخاطبين على الغائبين، والغائبون هم الذين لم يكونوا زمان التنزيل، وسيوجدون إلى يوم القيامة، وعلة هذا التغليب الخطاب، والتغليب الثاني: هو تغليب العقلاء على غيرهم، وعلة العقل⁽⁵⁾، وهذا

الأنعام هي
محل الإنعام
بتكثيرها
بالزوجة

تكثير الذرء
ونشرها نعمة
جديدة ومنة
بليغة

تغليب العقلاء
المخاطب على
غيره إيجاز بديع

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 257.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 45.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 582، وابن جزى، التسهيل: 2/ 245.

(4) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 21.

(5) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 69.

من براعة التَّغْلِيْب؛ إذ تَضَمَّنَ تَغْلِيْبَيْنِ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا غَلَبَ الضَّمِيرُ هُنَا؛ لِأَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لَمْ تَضَعْ ضَمِيرًا يَجْمَعُ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ وَغَيْرِهِمْ، كَأَن يُقَالُ: يَذْرَاكَ بِكْسَرِ الْكَافِ عَلَى أَنَّهُ خُطَابٌ لْجَمَاعَتِهِمْ⁽¹⁾.

بلاغةُ حرفِ الظَّرْفِيَّةِ:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِحَرْفِ الْجَرِّ الدَّالِّ (فِي) عَلَى الظَّرْفِيَّةِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿يَذْرُوكُمْ فِيهِ﴾؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْأَزْوَاجُ فِي غَايَةِ الْمَحَبَّةِ لِلزَّوْجِ بَحِيثٌ إِنَّهُ مُسْتَوِلٌ عَلَى الْقُلُوبِ، كَأَنَّهُ مُحِيطٌ بِهِمْ، فَقَالَ: ﴿فِيهِ﴾، أَي: فِي ذَلِكَ التَّزْوَاجِ بَحِيثٌ يَجْعَلُكُمْ مَوْلَعِينَ بِهِ⁽²⁾.

وَعَبَّرَ بِالظَّرْفِيَّةِ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ التَّزْوَاجَ ظَرْفًا لِلتَّكَاثُرِ وَمَنْبِعًا لَهُ⁽³⁾، وَالظَّرْفِيَّةُ هُنَا مُسْتَعَارَةٌ لِمَعْنَى السَّبَبِيَّةِ، فَشَبَّهَ السَّبَبَ بِالظَّرْفِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ السَّبَبَ يَحْتَوِي عَلَى مُسَبِّبَاتِهِ، كَمَا أَنَّ الْمَنْبِعَ يَحْتَوِي عَلَى مَائِهِ⁽⁴⁾، وَالتَّشْبِيهُ بِالْمَنْبِعِ يُشْعِرُ بِأَنَّهُ مَدْخُولٌ فِي ﴿فِيهِ﴾ اسْتِعَارَةً مَكْنِيَّةً، وَلَفْظَةً (فِي) قَرِينَةٌ تَخْيِيلِيَّةٌ، أَوْ لَفْظَةً (فِي) اسْتِعَارَةً تَبْعِيَّةً⁽⁵⁾.
تَعْيِينُ مَرْجِعِ الضَّمِيرِ فِي ﴿فِيهِ﴾:

أَعَادَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ الضَّمِيرَ الْمَجْرُورَ بِالظَّرْفِيَّةِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿يَذْرُوكُمْ فِيهِ﴾ عَلَى مَصْدَرٍ مِنَ الْكَلَامِ السَّابِقِ، وَهَذَا الْمَصْدَرُ يَصِحُّ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾، فَيُقَدَّرُ بِالْجَعْلِ، أَي: يَذْرُوكُمْ فِي هَذَا الْجَعْلِ، فَهُوَ كَمَا تَقُولُ: كَلَّمْتُ زَيْدًا كَلَامًا أَكْرَمْتُهُ فِيهِ⁽⁶⁾، وَيَصِحُّ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ مَدْلُولِ السِّيَاقِ، فَقَدَّرَهُ الرَّازِيُّ بِالتَّدْبِيرِ، وَهُوَ التَّزْوَاجُ الْمَدْلُولُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَزْوَاجًا﴾، فَجَعَلَ النَّاسَ وَالْأَنْعَامَ أَزْوَاجًا، فَكَانَ بَيْنَ ذَكَورِهِمْ وَإِنَاثِهِمُ التَّوَالُدُّ وَالتَّنَاسُلُ⁽⁷⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 45 / 25.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 257 / 17.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 582 / 27.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 45 / 25.

(5) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 207 / 17.

(6) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 245 / 2.

(7) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 582 / 27.

الزَّوْجُ سَبِيلُ
الاستيلاء على
القلوب

التَّزْوَاجُ سَبَبٌ
للتَّكْثِيرِ

التَّكْثِيرُ وَاقِعٌ
بِالتَّزْوَاجِ،
وَبَجْعَلِ اللَّهِ
تَعَالَى لَهُ

بلغة جملة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ في السياق:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بقوله جَلَّ شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ بعد ذكر خَلْقِهِ المخلوقاتِ الدَّالَّةَ على كمال عظمته، وبيان أَنَّهُ خَلَقَ الأزواج؛ ليبينَ هنا نفيَ مماثلته لمخلوقاته، فهو الفرد الصَّمَدُ تعالى أَن يكون له شيءٌ يماثله، فضلاً عن أَن يكون له زوج، فهو الواحد الأحد الفرد الصَّمَدُ⁽¹⁾، وهذه الجملة هي كالنتيجة لما ذُكِرَ من النُّعمِ العِظامِ، فَإِنَّ تلكَ النُّعمِ تُبينُ أَنَّ اللهَ تعالى واحد، لا يماثله شيءٌ في التدبير والإِنعام⁽²⁾.

تمام القدرة
والنعم المذكورة
تدلُّ على إله
متفرد بالذات
والصفات

فائدة استعمال ﴿لَيْسَ﴾:

أَثَرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ النَّفْيَ بـ ﴿لَيْسَ﴾ الداخلة على الجملة الاسميَّةِ المصدَّرة في قوله جَلَّ شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ لأنَّ المراد "نفي التَّعدُّدِ عنه سبحانه مطلقاً على سبيل المبالغة والتَّأكيد، فثَبَّتْ حِينَئِذٍ أَن لا موجودَ سواه، ولا تحقُّقَ لغيره"⁽³⁾، فالنَّفْيُ بـ ﴿لَيْسَ﴾ أفاد تَأْكِيدَ النَّفْيِ والمبالغة فيه.

التَّعدُّدُ في
الإلهيَّةِ منتفٍ
على وجه التَّأكيد

نوع الكاف ودلائلها في الآية:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بكاف التَّشْبِيهِ في قوله جَلَّ شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وأدخلها على لفظة (مثل) التي توافقها في المعنى؛ تَأْكِيداً لنفي المماثلة⁽⁴⁾، وحَسَّنَ الجَمْعَ بينهما أَنَّ الكاف حرفٌ والمِثْلَ اسمٌ، فلا يُسَبِّبُ ذلك ثِقَلًا في اللَّفْظِ، وأفاد تَأْكِيدَ نفي المماثلة تعليمَ المسلمين كَيْفِيَّةَ إِبْطَالِ مماثلة الأصنام لله تعالى⁽⁵⁾، فالْمَقْصودُ هو نفي التَّشْبِيهِ والمماثلة، وإِنَّمَا لم يقل: (ليس كالله شيء)، أو: (ليس

الإله العظيم
ليس له مثيلٌ
بوجه من
الوجوه

(1) للراغبي، تفسير الراغبي: 22 / 25.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 45 / 25 - 46.

(3) التَّخْجُوانِي، الفواتح الإلهية: 286 / 2، وينظر: الطَّيْبِي، فتوح الغيب: 26 / 14.

(4) الرَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه: 395 / 4.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 46 / 25.

مثله شيء؛ لأنه أراد تقديم ذلك النفي مع الدليل والحجة عليه، فقولك: مثل فلان لا يكذب، فليس المراد نفي صفة الكذب عن شخص يماثله، بل الجملة تبرئة له هو ببرهان كلي، بمعنى أن من يكون على مثل صفاته وشيمه الكريمة لا يكون كاذباً؛ وذلك لوجود التنافي بين طبيعة هذه الصفات وبين ذلك الكذب، فالآية تقول: مثله تعالى لا يكون له مثل، بمعنى أن من كانت له تلك الصفات الحسنى لا يمكن أن يكون له شبيهه⁽¹⁾.

بلاغة الكناية في جملة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾:

أفادت الكناية إثبات الشيء بيئته

لما أريد نفي (مثله) تعالى بطريق برهاني؛ سلك في نفيه مسلك الكناية، كما قالوا في المدح بالجد على وجه المبالغة: (مِثْلَكَ لَا يَبْخُلُ، وَغَيْرُكَ لَا يَجُودُ)، لا يريد بهما نفي البخل عن شخص يماثل الممدوح، ولا سلب الجود عن شخص يفاير الممدوح، وإنما يريدون بالأول نفي البخل عن نفس الممدوح، وبالثاني إثبات الجود له، وحمل الجملة على الكناية لا يَبْقَى فرقاً بين قوله: (ليس كالمثل شيء) وبين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إلا ما تُعْطِيهِ الكناية من فائدتها، وهي إثبات الشيء بيئته؛ فيكونان كأنهما عبارتان معتقتان على معنى واحد، وهو نفي المماثلة عن ذاته تعالى⁽²⁾.

وجه التعبير بلفظ (مثل):

نفي المماثلة نفي للنفس والصفة والصورة

المراد بالمِثْل في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ النفس، وهو أصله وحقيقته في اللغة، من قولهم: مِثْلُ الرَّجُلِ يَمُوتُ؛ إذا قام، وانتصب، والعرب تُقيم المِثْل مقام النفس، فتقول: مِثْلِي لَا يَقُولُ هَذَا، أي: أنا، ويجوز أن يكون المِثْل بمعنى الصفة: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مِثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 214]، أي: صفتهم، فمِثْلُ

(1) دراز، النبأ العظيم، ص: 167، 168.

(2) القنوني وابن التمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 17/ 208، 209.

الشَّيْءَ: صفته وصورته⁽¹⁾، ممّا يعني أنّ نفي المماثلة نفي للنفس والصّفة والصّورة.

دلالة نفي المماثلة:

دلّ نفي المماثلة في قوله جلّ شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^ط أن يكون في الموجودات شيءٌ مثّل الله تعالى في ذاته ولا في صفاته، فأبطلت كلّ ظنّونِ النَّاسِ، وما نسبوه إلى الله تعالى من البنات والابن والشّريك، وبذلك كان مناسباً لوقوعه عقب قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾، كما أنّها تنفي عنه كلّ ما ثبت للمخلوقات من الزوجيّة والنمو والموت، وغيره من عوارض الأحياء والأشياء⁽²⁾.

بلاغة تقديم شبه الجملة على المسند إليه:

قدّم النّظْمُ الجليل شبه الجملة على المسند إليه في قوله جلّ شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^ط؛ وذلك لأنّ "المراد نفيّه، فأولاه النّافي دلالة على شدّة العناية بنفسه"⁽³⁾.

غرض تنكير ﴿شَيْءٌ﴾^ط:

أثر النّظْمُ الكريم تنكير لفظ شيء في قوله جلّ شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^ط؛ وذلك لما في التّكثير من دلالة على العموم والشّمول، "أي: ليس مثله في شأن من الشّؤون التي من جملتها هذا التّدبير البديع"⁽⁴⁾، فليس يُشبهه تعالى، ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لانفرادِه وتوحيده بالكمال من كلّ وجه⁽⁵⁾.

لا شيء في
الوجود مثّل
الله تعالى ذاتاً
وصفاتٍ

دلالة التّكثير
على العموم
والشّمول

(1) البقاعي، نظم الدرر: 258 / 17، 259.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 47 / 25.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 257 / 17.

(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 25 / 8.

(5) السّعدّي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 754.

نوع الواو ودلائلها في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾:

نفي المماثلة لا
ينفي صفات
الكمال

عطف النظم الجليل إثبات صفة السمع والبصر على جملة نفي المماثلة في قوله جل شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ وذلك لإبطال تعطيل الصفات اتكاءً على نفي المماثلة على وجه المبالغة، فأثبت تعالى لنفسه صفات الكمال تتهيأ للعباد وتبيناً لهم⁽¹⁾، وقرب المعنى بنوع ظهور، فذكر ما يُعقل من الأوصاف، وأتى بأوضح ما نُحسّه من أوصافنا، وأظهره مع استلزامه لبقية الصفات⁽²⁾.

بلاغة جملة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾:

كمال السمع
والبصر دليل
على كمال
العلم وإحاطته

عبر النظم الجليل بالجملة في قوله جل شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ للدلالة على تأكيد المعنى، والمبالغة في ثبوت مضمونها، فالتعالى هو الذي له العلم البالغ بكل ما يُسمع، ويُبصر⁽³⁾.

نكتة تقديم ﴿السَّمِيعُ﴾ على ﴿الْبَصِيرُ﴾:

السمع متعلق
بالأقوال،
وهي أكثر من
الأفعال المتعلقة
بالأبصار

قدّم النظم الجليل صفة السمع على البصر في قوله جل شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ وذلك لأنّ السمع يتعلّق بالأقوال، والبصر يتعلّق بالأفعال، فهو تعالى السميع للأقوال، والبصير بالأفعال⁽⁴⁾، والأقوال أسبق من الأفعال.

غرض اقتران صفتي ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾:

السمع والبصر
أصل طرائق
العلم

أقرن النظم الجليل بين صفتي السمع والبصر في قوله جل شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ وذلك للمبالغة في صفة العلم⁽⁵⁾، فإنّ السمع والبصر هما أبلغ وسائل العلم، فجمع بينهما للمبالغة في وصفه تعالى بالعلم عن طريق جمع وسائله.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17 / 260.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 17 / 260.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8 / 25.

(4) الألوسي، روح المعاني: 12 / 332.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8 / 25.

بلادة الجمع بين جملي التني والإثبات:

جمع النظم الجليل بين جملة النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وجملة الإثبات: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ إذ لما نفى مماثلته تعالى للأشياء؛ أتبعه بإثبات صفات الكمال، وجاء ذلك "تنبيهاً على أن نفي مماثلة الأشياء لله تعالى لا يتوهم منه أن الله منزّه عن الانّصاف بما انّصفت به المخلوقات من أوصاف الكمال المعنويّة، كالحياة والعلم" (1).

موقع جملة ﴿لَهُ مَقَالِيدُ﴾ ممّا قبلها:

افتتح النظم الجليل الآية بالجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وهي بمنزلة النتيجة لما تقدّم؛ لأنّه لما بيّن أنّه تعالى منفرد بالخلق؛ كان مترتباً على ذلك ونتيجة عنه أن يكون منفرداً بالرزق (2).

نوع اللام ودلائها في قوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ﴾:

عبّر النظم الجليل بحرف الجرّ (اللام) في قوله جلّ شأنه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وهي هنا للملك، أي: الذي يملك مفاتيحهما؛ للدلالة على أنّ من يملك المفاتيح فهو يملك الخزائن (3)، فالجملة إخبارٌ يكمل التّزيه في الآية السّالفة، وتقريرٌ بأنّه تعالى ليس كمثله شيء كغيره في هذا أيضاً، بل كما كان أنّ له ما في الخافقين، وهو مخترعهما، فله مفاتيح خزائنها (4).

علة تقديم شبه الجملة:

قدّم النظم الجليل شبه الجملة على المسند إليه في قوله جلّ شأنه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ وذلك للدلالة على الاختصاص، أي: له وحده لا لغيره (5).

الإثبات بعد
النفي لرفع
توهم انتفاء
الصفات
المشتركة مع
المخلوقات

المنفرد بالخلق
منفرد بالرزق

مالك أسباب
الخيرات هو
المقتدر على
التصرف فيها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 48 / 25.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 48 / 25.

(3) القنوجي، فتح البيان: 282 / 12.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 261 / 17، 262.

(5) التّخجواني، الفواتح الإلهية: 286 / 2.

بلاغة استعمال مفردة ﴿مَقَالِيدُ﴾:

مالك المفاتيح هو
لمالك لما حوت
على وجه التفرد

عبّر النظم الجليل بلفظ ﴿مَقَالِيدُ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ للدلالة على أنه يملك شأن كل شيء، كالمطر والنبات والجواهر المستخرجة من الأرض، وغير ذلك، والذي يملك مفاتيح ذلك فهو يملك الخزائن⁽¹⁾، فالمفاتيح الخزائن، وخزائنه مقدورات⁽²⁾، وإنما ذكر المقاليد دون أن يقول: (له الملك)؛ وذلك للدلالة على أنه يملك مفاتيح السماوات والأرض، وكل شيء فيهما على وجه التفصيل لا على وجه الإجمال، وهذا أبلغ في سياق الامتنان والتعظيم.

غرض جمع ﴿مَقَالِيدُ﴾:

جميع خزائن
ملك بيد المليك
المقتدر

آثر النظم الكريم التعبير بجمع المقاليد في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ لأن تلك المقاليد كثيرة، والدلالة على أنه تعالى يملكها جميعاً، وأن غيره من آلهة المشركين لا تملك من شأنها شيئاً.

بلاغة الكناية عن الخيرات بالمقاليد:

كل الخيرات بيد
الله تعالى ينفق
منها كيف يشاء

كنى النظم الجليل في قوله جلّ شأنه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عن خيرات السماوات والأرض وما فيها من نعم، فشبّه الخيرات بالكنوز، وأثبت للخيرات مفاتيح، كما للكنوز مفاتيح، والمراد ببيان أن الله تعالى وحده المتصرف بما ينفع الناس من الخيرات⁽³⁾.

موقع جملة بسط الرزق وتقديره:

مالك الملك هو
متولي رزق
عباده من ملكه

ساق النظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ لبيان مضمون قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽⁴⁾، فالإخبار عن التصرف بخيرات السماوات والأرض يراد منه بيان أنه وحده الذي يرزق العباد والخلائق.

(1) القنوجي، فتح البيان: 282 / 12.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 262 / 17.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 49 / 25.

(4) القنوجي، فتح البيان: 282 / 12، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 49 / 25.

فائدة التعبير بالمضارع ﴿يَبْسُطُ﴾:

آثر النظم الكريم التعبير بالفعل المضارع عن بسط الرزق في قوله جل شأنه: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾؛ وذلك لتجدد بسط الرزق ودوامه، فالرزق أمر متجدد لا يقتصر على زمان أو مكان، وتقديره أبداً بيد الله تعالى.

الرَّزْقُ أمرٌ
متجدد لا يقتصر
على زمان أو
مكان

بلادة الاستعارة في لفظ ﴿يَبْسُطُ﴾:

عبر النظم الجليل بلفظ البسط في قوله جل شأنه: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾؛ للدلالة على توسعته؛ لأن البسط يقتضي المد والسعة⁽¹⁾، فشبه توسيع الرزق بشيء يبسط، فيمتد، والجامع بينهما الاتساع.

بسط الرزق
دليل على سعته
وكثرته

معنى تعريف لفظ ﴿الرِّزْقُ﴾:

عرّف النظم الجليل الرزق بالألف واللام في قوله جل شأنه: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾؛ للدلالة على الجنس، فيستغرق كل أنواع الرزق وأشكاله وأحجامه.

نوع اللام في ﴿لِمَن﴾ ودلالاتها:

عبر النظم الجليل بحرف الجر (اللام) في قوله جل شأنه: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾، وهي هنا للتعليل، أي: "يوسّع لمن ينبغي له التوسيع، ولو ضيق له؛ لفسد"⁽²⁾، أي: يوسّع رزقه على بعض عباده؛ لأنهم يصلح لهم ذلك.

مراعاة الحكمة
المطلقة في توزيع
الأرزاق لا يفدر
عليه إلا العليم
الخبير

سرُّ إيتار الموصول (مَن) دون (ما):

عبر النظم الجليل بالاسم الموصول الدال على العاقل في قوله جل شأنه: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾، وإن كان تعالى يرزق كل المخلوقات؛ وذلك لأن سعة الرزق مساقاة حجة ودليلاً على تفرده تعالى بالرزق، والإنسان هو المخاطب بالتكليف والتوحيد، فكان توسيع الرزق على أهل العقل حجة بينة، وعظة قائمة.

الرَّزْقُ برهانٌ
لإنسان على
الخالق الرزاق

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 49 / 25.

(2) القنوني، حاشية القنوني على البيضاوي: 211 / 17.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بصيغة المضارع ﴿يَشَاءُ﴾:

آثر النظم الكريم التعبير عن المشيئة بالفعل المضارع في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾؛ لأنَّ مشيئته تعالى المتعلقة بالرزق وتوسيعاته دائمة متجددة.

دلالة واو العطف في قوله: ﴿وَيَقْدِرُ﴾:

عطف النظم الجليل تقدير الرزق على بسطه في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ للدلالة على كمال قدرته، فهو "يوسِّعُ، ويُضَيِّقُ" حسبما تقتضيه مشيئته المؤسَّسة على الحكم البالغة⁽¹⁾.

بلاغة استعمال مفردة (يَقْدِرُ) دون (يُضَيِّقُ):

آثر النظم الكريم التعبير بلفظ التقدير دون التضييق في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ لأنَّ التضييق عامٌّ، أمَّا التقدير؛ فهو تضييق بتقدير، ومعنى التقدير: أنه يجعله "على مقدارٍ مخصوص ووجهٍ مخصوص حسبما اقتضت الحكمة"⁽²⁾. فلفظ (التقدير) يتضمَّن التضييق مع دلالته على كونه تضييقًا بمقدار معلوم.

نُكْتَةُ حذف متعلِّق ﴿وَيَقْدِرُ﴾:

حذف النظم الجليل متعلِّق فعل التقدير في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، فلم يقل: (ويقدر على من يشاء)؛ وذلك لطلب الإيجاز بالاعتماد على المفهوم من السياق، وفي الإيجاز تنزيه له تعالى عن التفصيل في وجوه التضييق في مواطن الإنعام، والمنِّ، وسعة الرزق.

بلاغة المقابلة بين البسط والقدر:

جمع النظم الجليل بين لفظي البسط والتقدير في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ على سبيل المقابلة؛ إظهارًا لكمال ربوبيته تعالى، فهو الذي يملك شأن الرزق توسيعًا وتقديرًا.

توسيع الرزق
وتضييقه من
كمال قدرة
الخالق الجليل

التقدير تضييق
بحكمة ودراية
وبمقدار
مخصوص

موسِّع الأرزاق
ومُقَدِّرُها هو
الإله المتفرد
بالخلق

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 25 / 8.

(2) الزاغب، المفردات: (قدر).

عَلَّةُ فَصْلِ جَمَلَةٍ: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

فصل النّظْمُ الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ لأنها مستأنفة استئنافاً تعليلياً، فلما ذكر البسط والتقدير في الرّزق؛ أتبعه ببيان سببه وعِلته، وذلك لأنَّ الله تعالى "عليم بكلِّ ما يفعله من توسعةٍ على من يوسّع عليه، وتقتيرٍ على من يقتّر عليه، ومن الذي يصلّحه البسط في الرّزق، ومن الذي يفسده، ومن الذي يصلّحه التّقدير، ومن الذي يفسده، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك، فيفعل كلَّ ذلك على مقتضى حكمته الكاملة، وقدرته الواسعة، وعلمه المحيط"⁽¹⁾.

بسط الرّزق
وتقتيره ناشئ
عن علم الله بما
يصلح للعباد

بداغة التّوكيد في جملة الفاصلة:

سيقت جملة الفاصلة: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ لبيان علة توسيع الرّزق وتقديره، وجيء بها مؤكّدة؛ لأنَّ ظاهر النّاس، وهم يأتون بالمعاصي، ويجاهرون بها عملٌ من يظنُّ أنَّ معاصيه تخفى عن الله تعالى، فأكدّه ردّاً لهذا الوهم والظنّ⁽²⁾.

علة تقدير الرّزق
وتوسيعه علم
الله بما يصلح
لعباده

نوع الباء ودلالاتها في ﴿بِكُلِّ﴾:

عبّر النّظْمُ الجليل بحرف الجرّ (الباء) في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وهي هنا للإلصاق، فعلمه تعالى متّصل بكلِّ شيء، ولا ينفكُّ شيءٌ عنه.

دلالة استعمال أداة العموم (كلّ):

عبّر النّظْمُ الجليل بلفظ العموم (كلّ) في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ لتأكيد إحاطة علمه تعالى بكلِّ شيء⁽³⁾، ونفي خروج شيءٍ عن حيّز علمه.

(1) الراغب، تفسير الراغب: 23 / 25.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 263 / 17.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 25 / 8.

فائدة التعبير بالشَّيء وتكثيره:

أحاطَ عِلْمُ
الله بكلِّ شيء
إحاطةً لا يخرج
عنها شيء

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ عَنِ الشَّيْءِ بِالتَّكْثِيرِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ وذلك لدلالة التَّكْرَرِ عَلَى الْعُمُومِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، لَا يَخْفَى عَنْهُ مِنْهَا خَافِيَةٌ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِلَفْظِ (الشَّيْءِ) دُونَ أَنْ يَقُولَ: (بِكُلِّ أَحَدٍ)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ لَفْظَ ﴿شَيْءٍ﴾ هُوَ أَعْمُ دَلَالَةً، فَيَدْخُلُ فِيهِ النَّاسُ وَغَيْرُهُمْ، فَتَكُونُ الدَّلَالَةُ أَشْمَلَ، وَالْمُرَادُ تَأْكِيدَ شُمُولِ عِلْمِهِ تَعَالَى.

براعة إضافة لفظ العموم (كل) للفظ ﴿شَيْءٍ﴾:

أَضَافَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ لَفْظَ الْعُمُومِ إِلَى لَفْظِ الشَّيْءِ الْمُنْكَرِ الدَّالِّ عَلَى الْعُمُومِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾؛ وَذَلِكَ لِلْمِبَالِغَةِ فِي كَمَالِ عِلْمِهِ وَسِعَةِ إِحَاطَتِهِ⁽¹⁾.

توجيه تخصيص صفة ﴿عَلِيمٌ﴾ بالذكر:

عِلْمُ الله تعالى
متعلِّقٌ بخفايا
ما يصلح لعباده

خَصَّ النَّظْمُ الْجَلِيلُ ذِكْرَ صِفَةِ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، بَعْدَ ذِكْرِ الرِّزْقِ وَتَوْسِيعِهِ وَتَقْدِيرِهِ عَلَى عِبَادِهِ؛ وَذَلِكَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ "يَفْعُلُ كُلُّ مَا يَفْعُلُ عَلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ عَلَيْهِ"⁽²⁾، فَتَوْسِيعِ الرِّزْقِ لَيْسَ جَهْلًا أَوْ عِبْثًا، بَلْ هُوَ مَنْدَرَجٌ تَحْتَ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ التَّقْدِيرُ، وَلَمَّا كَانَتْ أَقْدَارُ الْغِنَى وَالْفَقْرِ خَفِيَّةً عَلَى حَسَبِ مَشِيئَتِهِ تَعَالَى؛ عَبَّرَ بِالْعِلْمِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ اسْتِحْقَاقَاتِ الْعِبَادِ وَمَا يَصْلَحُ لَهُمْ، وَهِيَ قَدْ خَفِيَتْ عَلَى أَغْلَبِ النَّاسِ⁽³⁾.

❁ الفُروقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

الخلق والفطر والذرع:

الْخَلْقُ: "التَّقْدِيرُ"، يُقَالُ: خَلَقْتُ الْأَدِيمَ؛ إِذَا قَدَّرْتَهُ خُفًا أَوْ غَيْرَهُ"⁽⁴⁾،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 25 / 8.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 25 / 8.

(3) للهايمي، تبصير الزحمن: 244 / 2.

(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 136.

وَيُسْتَعْمَلُ فِي إِيجَادِ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ، نَحْوُ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 1⁽¹⁾]، فَهُوَ تَقْدِيرُ شَيْءٍ وَإِيجَادُهُ مِنْ مَادَّةٍ حَاصِلَةٍ، كَتَقْدِيرِ الْخُفِّ مِنَ الْأَدِيمِ.

الفطر إظهار
المخلوق من
عدم، والخلق
إيجاد شيء من
شيء، والذرة
نشر للمخلوق

أَمَّا الْفَطْرُ: فَهُوَ "إِظْهَارُ الْحَادِثِ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، كَأَنَّهُ شَقٌّ عَنْهُ، فَظَهَرَ، وَأَصْلُ الْبَابِ الشَّقُّ، وَمَعَ الشَّقِّ الظُّهُورُ، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ: تَفَطَّرَ الشَّجَرُ؛ إِذَا تَشَقَّقَ بِالْوَرَقِ، وَفَطَرْتُ الْإِنَاءَ: شَقَقْتُهُ، وَفَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ: أَظْهَرَهُمْ بِإِيجَادِهِ إِيَّاهُمْ، كَمَا يَظْهَرُ الْوَرَقُ؛ إِذَا تَفَطَّرَ عَنْهُ الشَّجَرُ"⁽²⁾، وَفَطَّرَ اللَّهُ الْخَلْقَ: "هُوَ إِيجَادُهُ الشَّيْءَ وَإِبْدَاعُهُ عَلَى هَيْئَةٍ مَتَرَشَّحَةٍ لِفِعْلِ مِنَ الْأَفْعَالِ، فَقَوْلُهُ: ﴿فَطَرَتْ اللَّهُ أَلَى فَطَرَ النَّاسِ عَلَيْهَا﴾ [التَّوْم: 30]، فَإِشَارَةٌ مِنْهُ تَعَالَى إِلَى مَا فَطَرَ، أَي: أَبْدَعَ، وَرَكَزَ فِي النَّاسِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى"⁽³⁾، فَالْفَطْرُ: إِظْهَارُ الْمَخْلُوقِ مِنَ الْعَدَمِ عَلَى هَيْئَةٍ مَنَاسِبَةٍ لِمَا أُرِيدَ لَهُ.

أَمَّا الذَّرْعُ: فَهُوَ "إِظْهَارُ اللَّهِ تَعَالَى مَا أَبْدَاهُ، يُقَالُ: ذَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ، أَي: أَوْجَدَ أَشْخَاصَهُمْ"⁽⁴⁾، أَي: أَظْهَرَهُمْ بِالْإِيجَادِ بَعْدَ الْعَدَمِ⁽⁵⁾، فَهُوَ إِظْهَارُ بَعْدِ الْفَطْرِ وَالْخَلْقِ، فَالذَّرْعُ: هُوَ إِيجَادُ الشُّخُوصِ وَنَشْرِهِمْ وَتَكْثِيرِهِمْ. وَعَبَّرَ فِي الْآيَةِ بِالْفَطْرِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى أَوْجَدَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِفَايَةِ وَهَيْئَةٍ مُوَافِقَتَيْنِ لِمَا أَرَادَ لِهَمَا، وَأَنَّهُ أَوْجَدَهُمَا مِنَ الْعَدَمِ.

التقدير والتضييق:

التَّقدير من القدر، وأصله يدلُّ على مبلغ الشَّيْءِ وَكُنْهه وَنَهَائِيته، والقدر: مبلغ كلِّ شيء، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق:

القدر رزق على
قدر مناسب،
فهو تضييق
مخصوص،
والتضييق فقر
صريح

(1) الرَّاغِب، للفردات: (خلق).

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 133، 134.

(3) الرَّاغِب، للفردات: (فطر).

(4) الرَّاغِب، للفردات: (ذرا).

(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 138.

١٧، فمَعْنَاهُ: قُتِرَ، وَقِيَاسُهُ: أَنَّهُ أُعْطِيَ ذَلِكَ بِقَدَرٍ يَسِيرٍ^(١)، وَقَدَرْتُ عَلَيْهِ الشَّيْءَ: ضَيَّقْتُهُ، كَأَنَّمَا جَعَلْتُهُ بِقَدَرٍ، بِخِلَافِ مَا وَصَفَ بِغَيْرِ حِسَابٍ^(٢).

أَمَّا التَّضْيِيقُ؛ فَأَصْلُهُ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ السَّعَةِ^(٣)، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْفَقْرِ وَالْبَخْلِ وَالْغَمِّ، يُقَالُ فِي الْفَقْرِ: ضَاقَ، وَأَضَاقَ، فَهُوَ مُضَيَّقٌ، وَاسْتَعْمَالَ ذَلِكَ فِيهِ كَاسْتَعْمَالِ الْوَسْعِ فِي ضِدِّهِ^(٤)، فَالتَّضْيِيقُ يَدُلُّ عَلَى الْفَقْرِ، كَمَا أَنَّ التَّوْسِيعَ يَدُلُّ عَلَى الْغِنَى. أَمَّا التَّقْدِيرُ؛ فَهُوَ تَضْيِيقٌ مَخْصُوصٌ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بِقَدَرٍ مُعَيَّنٍ مُنَاسِبٍ لَهُ، وَلَا يَقْتَضِي الْفَقْرَ، وَعَبَّرَ فِي الْآيَةِ بِالتَّقْدِيرِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى يَرْزُقُ عَلَى مَقْدَارٍ مَعْلُومٍ مُنَاسِبٍ.

(١) ابن فارس، مَقَائِسُ اللَّغَةِ: (قَدَر).

(٢) الرَّاعِب، الْفُرْدَات: (قَدَر).

(٣) ابن فارس، مَقَائِسُ اللَّغَةِ: (ضَيَّق).

(٤) الرَّاعِب، الْفُرْدَات: (ضَيَّق).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.

مج. 52 ، 818 صفحة ؛ 24x17 سم.

ردمك : 3-48-641-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 3-48-641-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"